سيميائية صورة الاحتجاجات الشعبية في القنوات الفضائية المصرية دراسة تحليلية

هديل جابر عبد العزيز [1]

مقدمة:

عاصرت مصر على مر الزمان كأي دولة في العالم احتجاجات شتى لمطالب كُثر، إلا أنه مع بداية القرن الحالي، والتطور التقني الملازم له، باتت الصورة الإخبارية في صناعة الإعلام تلعب دوراً خطيراً في تغطية وتحليل الأحداث التابعة لأزمات كالاحتجاجات، خاصة تلك المتحكمة في مصير شعوب؛ وذلك إما ببناء فكرة ما حول القضية ودعمها أو بهدمها وتغييرها لدى المتلقي من خلال تركيب الخطاب الحسي واللغوي معاً في بناء الرسالة الإعلامية. كما قال مقديشو ستامهايم (Mogadiscio Stammheim) بهذا الصدد: "جعلت الميديا من نفسها أداة إدانة أخلاقية للإرهاب ولاستغلال الخوف لأغراض سياسية، ولكنها نشرت في الوقت نفسه، وبكل غموض، الإعجاب الخام بالفعل الإرهابي[٢]".

ثمة قلق واضطراب يخيم على الرأي العام، عندما يتعلق الوضع بأحداث تهز كيان شعب ومع ذلك فالحقيقة ليست جلية بالقنوات التلفزيونية، كما يملأها التناقض أحياناً في الوقت الذي يتطلب أن تمثل فيه هذه القنوات عين ولسان الشعب في الأحداث.

لذا فإن الباحثة تنوي رصد صورة الاحتجاجات كما عرضتها القنوات الفضائية المصرية القومية والخاصة ومقارنتها ببعضها وبالواقع، استناداً إلى السيميائية وأدوات التحليل السيميائي، لمحاولة فهم ومعرفة الاستراتيجيات الإعلامية المختلفة المتبعة من قبل القنوات الفضائية المصرية محل الدراسة وكيفية طرحها للاحتجاجات، وكذلك الوقوف على مرجعها المحرك والعوامل المؤثرة فيها.

مشكلة الدراسة:

في ضوء الدراسات السابقة يتضح أن للصورة دور فعال في التعرف على اتجاهات وأهداف القائمين بالاتصال السياسية، تجاه الاحتجاجات التي شغلت مصر منذ بداية ظهورها كحركات لها مطالب سياسية وفئوية شتى إلى تطورها لثورة شعبية.

تضارب الآراء والمعلومات السياسية المطروحة من قبل القنوات الفضائية المصرية، بشأن الاحتجاجات الشعبية المصرية والمشاركين بها، واختلاف الآراء حول من تُحمله هذه القنوات مسئولية الاحتجاجات وكذلك اختلاف الأفكار والآراء السياسية التي تقدمها عن الاحتجاجات، والتي قد تتخذ شكل قوالب فكرية لفترة معينة مما قد يؤثر على إدراك المتلقي وتفسيره لمدلولات الرسالة. كما أنه مع التطور التقني لآليات انتاج الصورة التلفزيونية قد يصبح التمييز بين "الصورة التلفزيونية بعناصرها المرئية والصوتية التي تعرض الواقع السياسي عامة والاحتجاجات الشعبية "موضوع الدراسة" خاصة بشكل موضوعي وتلك التي تعرضه بصورة تغاير الواقع بطريقة

---

[1] باحثة ماجستير بكلية الاداب قسم الاعلام – جامعة جنوب الوادى

[(١)] جان بودريار، **المصطنَع والاصطناع**، ترجمة: جوزيف عبد الله، ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨)، ص: ١٥٤

تخدم أغراضها" أمراً صعباً. ففي الاحتجاجات إذا لم تُنقل الصورة بحيادية، فإنها تخضع إما لتهويل مبالغ فيه لإثارة الذعر أو تخضع لتهوين مفرط لبث الشعور بالأمان والرضا أو لهما معاً أي توظيفهما معاً لخدمة الاتجاه العام للقناة.
وعليه، تسعى الدراسة لتحليل طبيعة المعالجة الإخبارية للاحتجاجات الشعبية في القنوات الفضائية المصرية سيميائياً؛ لرصد مكوناتها ومعاييرها وأبعادها والتعرف على الاستراتيجيات التي أرستها تلك القنوات أثناء بناءها المحتوى.

أهمية الدراسة:

١. تلعب الصور التلفزيونية السياسية بوصفها خطاب قابل للقراءة دوراً هاماً في كشف سياسات وتوجهات القنوات الفضائية المصرية المختلفة التي تحكمها استراتيجيات هيكلية كأجهزة الرقابة وأنماط الملكية.
٢. تتمثل أهمية تحليل صورة الاحتجاجات في الفضائيات المصرية سيميائياً، في أبعادها الحسية وآلياتها الأيديولوجية التي تحكم بنية الصورة في برامج الأحداث الجارية.
٣. تختلف مدلولات الصور التلفزيونية باختلاف الأشخاص وذلك لاختلاف الفروق الفردية من شخص لآخر بالتالي قد تحمل الصورة معاني كثيرة مختلفة عن بعضها ساهم في صناعتها سياسات متعددة وفهمها المشاهدون بحسب ما يتوافق مع سماتهم الفردية وتوجهاتهم الفكرية.
٤. النقص الواضح في الدراسات الإعلامية المتعلقة بتفسير دلالات الصورة التلفزيونية جعل من الضروري الاهتمام بتناول مثل هذه الدراسة ذلك الأمر الذي سيوفر قاعدة بيانات عن قراءة الصور التلفزيونية المصرية التي تعرض الاحتجاجات الشعبية.

تساؤلات الدراسة:

تطرح الدراسة تساؤلاً رئيسياً يتفرع منه عدة تساؤلات فرعية لتحليل بنية الصورة السياسية التلفزيونية، هو:

"كيف تناولت القنوات الفضائية المصرية الاحتجاجات الشعبية المصرية في ضوء السياسات المختلفة لتلك القنوات وتوجهاتها؟"

ويندرج تحت هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية:

١. ما مدى تحقق المقاييس المهنية لنقل الأخبار، الدقة والتوازن والصدق والكيفية والمصلحة العامة؟
٢. ما هي الأماكن المصورة في برامج الأحداث الجارية ودلالاتها بالمقارنة بواقع الأحداث حينها؟
٣. كيف تم توظيف الإضاءة وأحجام اللقطات وزوايا التصوير أثناء نقل الاحتجاجات؟
٤. كيف كشفت السياسة التحريرية للقنوات الفضائية عينة الدراسة عن الفعل الرقابي؟
٥. كيف أثرت أنماط ملكية القنوات الفضائية المصرية على تغطية الاحتجاجات المصرية؟
٦. هل اختلفت السياسة التحريرية للقنوات الفضائية الحكومية عن الخاصة؟

نوع الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة لنوعية الدراسات الكيفية التي تحدد اتجاهات البحث في الظاهرات والمشكلات الإعلامية في وجود أفكار يضعها الباحث من خلال آليات التعامل مع الظاهرة التي تجعل الباحث يصف الظواهر الإعلامية بناءً على التأمل والإطار النظري للتجارب السابقة ومحاولة الكشف الاقتراب مما يعتقده صائب في حركة هذه الظاهرة وعناصرها[٣].

[٣] محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، ط٢ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤)، ص: ٢٩٢

مناهج الدراسة:

منهج المسح الإعلامي:

تعتمد الدراسة على فئة المسوح الوصفية التحليلية والتي تعمل على التعرف على العلاقة الارتباطية بين متغيرين أو أكثر مما يساعد على التوصل إلى نتائج تفسيرية[٤]. وذلك لقراءة وتحليل برامج الأحداث الجارية المصرية التي تعرض الاحتجاجات الشعبية.

تعتمد الدراسة على أسلوب المقارنة المنهجية وهو أسلوب يستخدم للموازنة بين فئات في تحليل المحتوى الإعلامي عبر فترة زمنية معينة أي مقارنة نتائج التحليل بين المراحل التاريخية لما قيل في هذه المراحل والفترات[٥]. تهدف الباحثة من استخدام هذا الأسلوب إلى إجراء مقارنة بين صورة الاحتجاجات في برامج الأحداث الجارية في القنوات التلفزيونية المصرية الحكومية والخاصة خلال ثورة ٢٥ يناير، ورصد تغطية بداية الثورة، وسطها، وآخرها في كل قناة على حدة ومقارنتهما ببعض.

أدوات الدراسة:

تعتمد الدراسة على مقاربة التحليل السيميائي وهي كل عملية تأمل للدلالة، أو فحص لأنماطها، أو تفسير لكيفية اشتغالها، من حيث شكلها وبنيتها، أو من حيث انتاجها واستعمالها وتوظيفها[٦] حيث أن التحليل الدلالي للمضمون يعطي إمكانات منهجية، أكبر من تحليل المضمون وفي هذا السياق رصد دنيس ماكويل Mcquail الفروق بين الأداتين[٧]:

١. يقدم لنا التحليل الدلالي طريقة لوصف المضمون، فيكشف لنا عن خصائص منتجي النص، أي صانعي المضامين الإعلامية للمتلقين، ويفيد في البحوث التقييمية التي تهدف كشف الأيديولوجيات الكامنة داخل مضمون الرسالة الإعلامية.
٢. لا يعتمد التحليل الدلالي على التكميم كثيراً، ولكن المعنى في هذه الأداة يستشف من العلاقات والتعارضات والسياق.
٣. يوجه التحليل الدلالي اهتمامه إلى المعنى الكامن في النص، أكثر من اهتمامه بالمعنى الظاهر حيث ينظر إلى المعنى الكامن على أنه أكثر جوهرية.
٤. يعد التحليل الدلالي في جانب معين منه أكثر تنظيماً من تحليل المضمون؛ حيث لا يعطي وزناً لمقاييس العينات؛ ويرفض فكرة أن كل وحدات المضمون يجب أن تعامل بالدرجة نفسها من المساواة.

منهجية قراءة برامج الأحداث الجارية:

تعتمد الدراسة خلال القراءة التحليلية لبرنامجي العينة على استمارة تحليل سيميائي تشمل العناصر التالية:

القائم بالاتصال: القناة / البرنامج/ مقدم البرنامج/ المراسل/ الضيوف/ المداخلات التليفونية.

تاريخ الحلقة.

قياس مهنية البرنامج التلفزيوني:

الدقة/التوازن في العرض/الصدق والأمانة/الكيفية/المصلحة العامة

وبتحليل الصورة التلفزيونية سيميائياً، من خلال وحدتين:

---

[٤] سامي طايع، **مقدمة في مناهج البحث**، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص:١٢٢

[٥] محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، **مرجع سابق**، ص:١٧٩

[6] عبد الواحد المرابط، **"السيمياء العامة وسيمياء الأدب"**، (الدار العربية للعلوم ناشرون)، ص:٧ نقلاً عن مدونة الحداثة وما بعد الحداثة مقال علمي بعنوان السيميائية والأسلوبية والتداولية: المفهوم والاشتغال: د.خالد كاظم حميدي متاح أون لاين:
http://post٢modernisme.blogspot.com.eg/١٢/٢٠١٦/blog-post_٨٤.html

[٧] محمد حسام الدين، **"المسئولية الاجتماعية للصحافة"**، ط١ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣) ص: ١٥٦،١٥٧

الأولى، تحليل خطاب الصورة.
الثانية، تحليل خطاب القائم بالاتصال (المذيع/ المراسل/ الضيف)

أولاً: تحليل خطاب الصورة:

تعتمد الدراسة على عناصر التدلال الثلاثة لبيرس، الإشارة، الموضوع، والمعنى، في تحليل محتوى تغطية الاحتجاجات في حلقات البرامج عينة البحث سيميائياً. بالاستعانة بالعناصر التالية:

الصورة: - الأشخاص: مدني، قوات أمن، مراسل القناة، آخرون.

- التصوير: أحجام اللقطات، زوايا التصوير، الإضاءة والتوقيت.
- نوع الصورة: حية/ أرشيفية-ثابتة/ متحركة.
- المونتاج: طريقة ربط اللقطات وتكوين المشاهد.
- المكان: الأماكن المصورة في التقارير.

الصوت: المؤثرات الصوتية: الطبيعية والصناعية وطريقة توظيفها.
أصوات الهتافات/ صراخ/ ضرب قنابل غاز-خرطوش-رصاص/ طبول/ أغاني وطنية/ إحتفالات/ غناء.
تفريغ النص المسموع:

- استطلاع الرأي العام.

VOX POP "voice of people" & SB "sound bite"

- كلام المراسل.

ثانياً: تحليل خطاب القائم بالاتصال (المذيع/ المراسل/ الضيف):

تعتمد الدراسة على المغالطات المنطقية للدكتور عادل مصطفى لمحاولة فهم صورة الاحتجاجات في حلقات البرامج عينة البحث. من خلال:
تفريغ النص المسموع: كلام مقدم البرنامج والضيوف والمداخلات التلفونية، مدى تحقق العناصر المهنية لانتاج الخبروتوافر المغالطات المنطقية في الكلام.

مجتمع الدراسة:

هو مجموع المصادر التي نُشر أو أُذيع فيها المحتوى المراد دراسته خلال الإطار الزمني للبحث[٨]. استهدفت الدراسة تحليل مضمون القنوات الفضائية المصرية التي غطت الاحتجاجات الشعبية المصرية سيميائياً. ولما كان من الصعب إجراء هذه الدراسة بأسلوب الحصر الشامل لطول الإطار الزمني للدراسة (فترة الاحتجاجات الشعبية في مصر) وكذلك لاتساع مجتمع الدراسة حيث تتعدد القنوات الفضائية المصرية، لذا قامت الباحثة باستخدام أسلوب العينة.

الإطار الزمني للدراسة:

نظراً لكثرة الاحتجاجات الشعبية التي حدثت في مصر، اختارت الباحثة عينة عمدية، وهي: ثورة ٢٥ يناير (١٨ يوم)، لاعتبارها بداية إعلاء الصوت المصري ضد النظام الحاكم، وبداية السعي للتعبير عن الرأي بحرية وشجاعة.

عينة الدراسة:

١. **القنوات الفضائية المصرية:**

[٨] محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، (بيروت: دار الهلال، ٢٠٠٩)، ص:٩١

راعت الباحثة في اختيار العينة، تمثيل القنوات المصرية وفقا لتوجهاتها والسياسات التحريرية المختلفة. وعليه، قامت الباحثة باختيار عينة عمدية من القنوات تتمثل في التالي:

أولا: القنوات الفضائية المصرية الحكومية: القناة الفضائية المصرية

ثانيا: القنوات الفضائية المصرية الخاصة: قناة دريم الثانية الفضائية حيث تمثل أول قناة كبداية لظهور الإعلام التلفزيوني الخاص بمصر.

ونظراً لطبيعة الدراسة فإن تحليل المضمون سيركز على قوالب برامجية معينة، وهي برامج الأحداث الجارية والتقارير الإخبارية بها التي غطت الاحتجاجات.

٢. برامج الأحداث الجارية:

تم التركيز على البرامج المسائية، لأنها تحظى بعدد مشاهدات أكبر مقارنة بنظيرتها الصباحية.

وعليه، تم اختيار برنامج العاشرة مساءً من قناة دريم، وبرنامج مصر النهاردة من القناة الفضائية المصرية.

٣. حلقات البرامج:

ستسحب عينة عمدية وفقاً للحلقات المتاحة بالتمثيل التالي:

- بداية الثورة، يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ في القناتين.
- وسط الثورة، يوم ٥ فبراير ٢٠١١ بالقناة الفضائية المصرية، ويوم ٧ فبراير ٢٠١١ بقناة دريم ٢.
- آخر الثورة، يوم ١١ فبراير ٢٠١١ بقناة دريم ٢، ويوم ١٦ فبراير ٢٠١١ بالقناة الفضائية المصرية.

أهم النتائج:

تغطية بداية الثورة في البرنامجين:

١- غياب الطرف الثائر لمطالبه في الحلقتين، مما حقق النظرة العلوية التي نبذها الثوار مراراً في عدم سماعهم والحديث نيابة عنهم. واكتفت الحلقتين بتحليل الأحداث وتقديم النصح والتوجيه.

٢- كررت الحلقتين اللقطات الأرشيفية في التقارير ذاتها المصورة للاحتجاجات، كما غابت التغطية المسائية بالميادين الكبرى التي بها احتجاجات وأهمها ميدان التحرير وكذا اقتصرت كلتا الحلقتين على تغطية القاهرة دون المحافظات الأخرى، كالسويس والاسكندرية.

٣- اتخذت الحلقتين منهج المقارنة بين أماكن تضج بالاحتجاجات وأخرى خالية، لتوضحا أن الأحداث عابرة بدليل أن هناك أماكن خالية من الاحتجاجات، وذلك طبيعي في حالة أن الثورة كانت في بدايتها ترسي قواعدها، ولكن يحسب للقناة الفضائية المصرية أنها عرضت حتى ولو لقطتين للأحداث المسائية مقارنة بقناة دريم ٢ الفضائية.

تغطية وسط الثورة، يومي ٥ فبراير، ٧ فبراير ٢٠١١ في البرنامجين:

١- تجسيد صورة "البطل" في وائل غنيم، من خلال مذيعة وضيوف برنامج العاشرة مساءً، بينما اكتفى برنامج مصر النهاردة بتقديمها من خلال الضيفة إسراء عبد الفتاح.

٢- التأكيد في الحلقتين على التجاهل المتعمد لثورة الشباب، والنظرة العلوية في التعامل مع الأمور والأحداث، ولكن على لسان الضيوف.

٣- تضامن برنامج العاشرة مساءً مع شهداء الثورة بينما لم يبد برنامج مصر النهاردة أي تعاطف.

٤- تشابهت الحلقتين في تقديم التطورات بشأن الأحداث من خلال استوديو تحليلي، ولم يكن هناك تغطية حية من الميدان. إلا أن برنامج العاشرة مساءً قدم فيديو من لقطات أرشيفية للثورة أثناء الحلقة.

٥- تطور المنطوق اللغوي في الحلقتين، فظهرت كلمات كثورة وثوار وارحل، ورحيل النظام، وغيرها.

٦- انتشار التخويين بين جميع الأطراف.

٧- قدم برنامج مصر النهاردة فكرة "استكمال الفترة الرئاسية"، بينما قدم برنامج العاشرة مساءً فكرة "استمرار الثورة"، وهو ما يتوافق مع مطلب الشعب حينها.

تغطية نهاية الثورة، يوم التنحي ١١، ١٦ فبراير ٢٠١١في البرنامجين:

١- تحققت حرية الرأي بعض الشيء وغاب الفعل الرقابي المشدد عن طرح الموضوعات والقضايا السياسية بعد تنحي الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك؛ ظهر ذلك بتناول بعض أخطاء نظام الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك، وظهور شخصيات كان قد تم حظرها من الظهور على الشاشتين كمحمود سعد على القناة الفضائية المصرية، ومحمد حسنين هيكل على قناة دريم ٢ الفضائية.

٢- الاعتراف بالأخطاء، لتجنبها مستقبلاً، حيث أن الإقرار بالخطأ يعد بداية للنهوض والسعي لبناء مستقبل أفضل.

٣- لازالت تغطية الأحداث ونقلها بث مباشر من أماكنها غائبة عن القناتين حتى بعد توافر مناخ من الحرية.

٤- من الملاحظ أن الأخطاء السابقة في طرح المضامين السياسية قد تلاشت تدريجياً إلى حد ما عن بداية ووسط الثورة.

المراجع:

١. جان بودريار، المصطنَع والاصطناع، ترجمة: جوزيف عبد الله، ط١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨)
٢. سامي طايع، مقدمة في مناهج البحث، (القاهرة، ٢٠٠٤)
٣. عبد الواحد المرابط، "السيمياء العامة وسيمياء الأدب"، (الدار العربية للعلوم ناشرون)، ص:٧ نقلاً عن مدونة الحداثة وما بعد الحداثة مقال علمي بعنوان السيميائية والأسلوبية والتداولية: المفهوم والاشتغال: د.خالد كاظم حميدي متاح أون لاين:
.html٨٤/blog-post_١٢/٢٠١٦modernisme.blogspot.com.eg/٢http://post
٤. محمد حسام الدين، "المسئولية الاجتماعية للصحافة"، ط١ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣)
٥. محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط٢ (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤)
٦. محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، (بيروت: دار الهلال، ٢٠٠٩)